07 ديسمبر 2021

السيادة الغذائية في شمال إفريقيا:
نحو الحد من التبعية عبر تقليص توريد الحبوب والعودة نحو البذور الأصلية

تعود معضلة السيادة الغذائية في شمال إفريقيا الى تصدّر عناوين المقالات الصحفية عقب توجه الحكومة الجزائرية الى خفض دعم الحبوب وعزمها على تحويل جزء من مصاريف توريد الحبوب إلى دعم زراعة القمح محليا[i].

هذا وقد انتقد رئيس الحكومة الجزائري استيراد الجزائر للقمح من بلد لا تتجاوز مساحته واحد بالمائة من مساحة الجزائر متسائلا عن أسباب عزوف الفلاح الجزائري عن زراعة القمح.

هي سياسة وقع تبنيها منذ ما يزيد عن اربعة عقود في بلدان شمال إفريقيا خاصة تونس والجزائر حيث وقع تعويض زراعة البذور الأصلية ببذور مستوردة تحت تعلة قلة إنتاجية البذور الأصلية، إضافة الى جملة من الإجراءات التي تهدف الى ضمان دخل كاف ومستقر لفلّاحي الحبوب وتحقيق الاكتفاء الذاتي للبلاد من منتجات الحبوب وضمان أسعار مناسبة للمستهلكين. غير أن هذه السياسة التي وقع انتهاجها في الثمانينات في تونس بينت قصورها حيث تم الالتجاء إلى التوريد رغم الامكانيات المحلية الكبيرة وهو ما أدى الى اختلال التوازن بين دفوعات وميزانية الدولة حسب دراسة نشرها المرصد التونسي للاقتصاد[ii].

ارتفاع اسعار القمح العالمية في العشرية الأخيرة وخاصة الأشهر القليلة الماضية نظرا الى استيراده من قبل دول الشرق الأوسط بصفة جنونية كما وصفته منظمة التجارة العالمية بسبب الجفاف الذي تشهده هذه الدول[iii] أدى إلى ارتفاع كلفة استيراده وانعكس ذلك سلبيا على الميزان التجاري لدول شمال إفريقيا. ومع ضرورة المحافظة على المقدرة الشرائية للمواطن تضاعفت الكلفة بارتفاع تكاليف دعم الحبوب. مما أثقل كاهل الدولة وساهم في ارتفاع عجز الميزانية. تجدر الإشارة هنا الى أن مواصلة استيراد القمح بالرغم من ارتفاع أسعاره وتحمل تكاليف دعمه من قبل الحكومات يعود بالأساس للنظام الغذائي لسكان منطقة شمال إفريقية والشرق الأوسط الذي يرتكز أساسا على الخبز.

هي معضلة تطرق لها المجتمع المدني في شمال إفريقيا في محاولة منه للتنبيه الى ضرورة دعم الفلاحة المحلية والتعويل على الانتاج المحلي لضمان السيادة الغذائية والحدّ من كلفة توريد المواد الأساسية المدعمة على غرار القمح.[iv] تزامنت الحملة التي قامت بها شبكة السيادة الغذائية في شمال إفريقيا[v] مع إعلان البنك الوطني للجينات في تونس تمكنه من استرجاع ما يقارب ٧٧٥٤ عينة من البذور التونسية الأصلية[vi]. لتليها أخبار عن عودة الفلاح التونسي الى استعمال البذور الأصلية لأنها أقل كلفة مالية في شراء الأسمدة والأدوية وأقل حاجة للماء ولعمليات الري في بلد يعاني من ندرة المياه[vii].

انخرط فلاحوا المملكة المغربية أيضا في حملة إعادة الاعتبار للبذور الأصلية للاسترجاع السيادة الغذائية حيث تداولت الصحافة المغاربية أخبارا عن مبادرة تحت عنوان -خير مزارعنا لأهالينا- التي غايتها ضمان أمن غذائي للمغرب وإعادة الاعتبار للبذور الأصلية عوض استيرادها[viii]. تلتحق الجزائر بهذه المبادرات من خلال تعديل دفتر الشروط الخاص باستيراد الحبوب بالشكل الذي يسمح بالانفتاح على أسواق أوروبا الشرقية والتخلص من الهيمنة والاحتكار الفرنسي [ix] في مستوى أول ليتم مؤخرا التصريح بأن الحكومة الجزائرية ترى أنه من الأجدر دعم الفلاح الجزائري لزراعة الحبوب وتحقيق الاكتفاء الذاتي عوضا عن اللجوء للتوريد.[x] إضافة الى عزم الحكومة الجزائرية على إعادة تفعيل بنك الجينات الذي بعث سنة 1985 [xi].

فهل تنتهج الحكومة الجزائرية نفس توجهات تونس والمغرب في استعادة وتثمين البذور الأصلية عن طريق بنك الجينات لإعادة الاعتبار لهذه البذور والخروج من التبعية نحو السيادة الغذائية التي يطمح لها سكان شمال إفريقيا؟

i Premier ministre : "Nous importons du blé auprès d'un État dont la superficie ne dépasse pas 1 % de celle de notre pays" (algerie-eco.com)

ii اوجه القصور في سياسة الامن الغذائي في قطاع الحبوب | المرصد التونسي للاقتصاد (economie-tunisie.org)

iii تحليل: ارتفاع تكاليف استيراد القمح وتحديات دعم سعر الخبز | سياسة واقتصاد | تحليلات معمقة بمنظور أوسع من DW | DW | 08.11.2021

vi دعوة عامة لندوة إلكترونية - يوم 12 أفريل: "جائحة كورونا وضرورة النضال من أجل السيادة على ثروات وغذاء شعوبنا" - North African Network for Food Sovereignty (siyada.org)

v North African Network for Food Sovereignty - Popular sovereignty over food, land and wealth (siyada.org)

iv تونس تسترجع 94 عينة من بذور الحمص والدرع الأصلية (nessma.tv)

iiv تونس.. لهذا يعود مزارعون إلى <البذور الأصلية>! | علوم وتكنولوجيا | آخر الاكتشافات والدراسات من WD عربية | WD | 1202.90.10

iiiv طالب يقود مبادرة "خير مزارعنا لأهالينا" لإعادة الاعتبار للبذور الأصلية (hespress.com)

xi موقع جزائري عن استيراد القمح الروسي: "باي باي" للقمح الفرنسي! - RT Arabic

x Premier ministre : "Nous importons du blé auprès d'un État dont la superficie ne dépasse pas 1% de celle de notre pays" (algerie-eco.com)

ix موقع جزائري عن استيراد القمح الروسي: "باي باي" للقمح الفرنسي ! - RT Arabic

الكاتب: المرصد التونسي للاقتصاد

CC BY NC SA